تولستوي

تأليف ستيفان زفايج
تعريب فؤاد ايوب

النتاج الجديد

دار اليقظة العربية ، ٢٠٨ ص، دمشق ، ١٩٥٣

●

ان الاستاذ فؤاد ايوب على كثير من الحق حين يقول : ان الفكر العربي في تفتحه المستمر ، وازدهاره الدائب، يتطلع الى آداب الشعوب الاخرى ، راغباً ان ينهل من معينها الثر ، وان يسكر من نشوة خمرتها اللذيذة ، « يحدوه الادراك الوطيد بانه لن يستطيع ارتفاعاً الى المكانة التي يطمح اليها في مراتب الادب العالمي ، ما لم يتفهم هذا الادب العالمي جيداً ، ويتمثله بصورة حسنة ، بحيث يوطد الاسس التي يقوم عليها، لا بتقليده آداب الشعوب الاخرى ، بل باستمداده العون منها ، كي يدخل أعمق فأعمق الى غور الاشياء ، ويزداد نفوذاً الى لب الامور ، ويتجرد عن كثير من السطحية ما برح يطغى على ادبنا ... »

فالاستاذ ايوب حين يلبس ثوب الدفاع عن هـذه القضية لسد فراغ مكتباتنا ، واغنائها ، بما تفتحت عنه قرائح الفلاسفة والمفكرين ، والادباء والروائيين الغربيين ، انما يدافع عن قضية رابحة لا تحتاج الى دفاع، لانه لامحل فيها للخصام والنزاع

كما يظهر ان للاستاذ فؤاد ايوب كلفاً شديداً بالادباء والشعراء الروس ، الذين تركوا في حياة اوطـانهم آثاراً ذات خطر عظيم ، ويظهر انه يحب في الوقت نفسه ان يشرك قراء العربية في العناية بهؤلاء الادباء والشعراء وتتبع حياتهم والانتفاع بما يملأ هذه الحياة من تجارب خصبة . ويظهر ، بعد هذا وذاك ، انه يحب الوضوح والائتلاف وملاءمة المنطق الذي يلائم مزاجه ومزاج قراء العربية ، في تصوير حياة هؤلاء الكتاب . فقد ترجم والف عن مكسيم غوركي ودستويفسكي وليرمنتوف .. وغيرهم . وهو الآن يقدم الينا دراسة عن تولستوي .

ولست ادري أأثني عليه لانه أقدم على هذه التراجم والتآليف ام لانه احسن الترجمة أو التأليف او للاثنين معاً .

والكتاب الذي نحن بسبيل التعريف به من تأليف ستيفان زفايج ... وستيفان زفايج عـدا عن انه مؤرخ دقيق واسع الاطلاع، روائي واسع الخيال ، قوي الاسلوب ، وعالم نفساني فهم الطبيعة الانسانية ، ووقف على الكثير من اسرارهـا واتجاهاتها ، وكان إلى ذلك كله فناناً مرهف الحس، يعشق الجمال ويؤمن بعظمة الانسان وقيمة النفس البشرية .

وبرغم ما صادفه من متاعب في حياته فان انتاجه الادبي كان وفيراً، وقد عني بصفة خاصة بكتابة السير وتواريخ الحياة. لقد كان يختـار الشخصيات التي يكتب عنها في مختلف البلدان وفي فترات مختلفة من التاريخ وهو حين يكتب عنها يصورها تصويراً صادقاً ، شائقـاً ، ويضع الحقائق التاريخية المتصلة بها ، في قالب روائي ممتع ، وهـو الذي قال عنه الروائي الفرنسي الكبير – جول رومان – «إنه احد المفكرين السبعة الاكثر عمقا في اوربا بأسرها . » ويقدمه لنا اليوم فؤاد ايوب في احدى دراساته الشهيرة عن كبير مفكري روسيا «ليون تولستوي».

والناس جميعا يعرفون من امر « تولستوي » انه كان اديباً، وروائياً ، وفيلسوفاً ، ومصلحاً اجتماعيا .. كل هذا يعرفه الناس عن تولستوي ، لكثرة ما تناقلته الأحاديث وجرت بـه الألسنة والاقلام ، ولكنه لا يعدو ان يكون ظاهراً من العلم، ليس له حظ من العمق ، ولا نصيب من الدقة ، وهو من اجل ذلك يدعو الى هذا الاعجاب اليسير الذي لا يعتمد على اساس متين .

والكتاب الذي يهديه الاستاذ ايوب الى القراء يرد هـذا العلم بأمر تولستوي الى اساسه الصحيح ، ويتيح للقراء فرصاً كثيرة جداً للتفكر والتدبر والتأمل والاعتبار ، وهو في الوقت نفسه يتيح لهم الوانا كثيرة مختلفة من لذة العقل والقلب والذوق جميعا ، كما يظهرهم على فنون كثيرة من الحياة الروسية المتنوعة المتناقضة التي لا تكاد تحصر .

وليس هذا الكتاب ترجمة دقيقة لتولستوي بالمعنى المألوف من معاني هذه الكلمة ، وانما هو مصاحبة له في حياته الطويـلة التي اشرفت على الاثنين والثمانين عامـا ، مصاحبة تتبع الرجل العظيم في دقائق حياته وتظهره في مواقفه الحاسمة بين حـين وحين ، وفي اشد اطوار حياته خصباً وأبعدها أثراً في نفسه ، وفي نفس أمته ، بل وفي الحياة العقلية الانسانية ايضاً .

فالمؤلف مع تفصيله لنا مولد تولستوي ونمط عيشته والوسط الذي أحيط به ، يحدثنا عن طور من اطوار حياته حين تمّ تكوين عقله ، وخلقه ، ومزاجه ، وحين أصبح رجـلاً من رجال الاصلاح الاجتماعي ، إضافة الى المركز الممتـاز الذي

تبوأه بين رجال الادب والرواية في العالم . وهو يصوره لنا قوي الشخصية يفرض نفسه على جميع الذين يتصلون به من قريب ، او من بعيد ، ثم يفرض نفسه على جميع مواطنيه ، وقد تكونت شخصيته المعنوية من عناصر لزمته طوال حياته ، اولها حرية العقل ، هذه الحرية التي جعلت منه ثائراً متصل الثورة على تقاليد بيئته ومجتمعه ، وثانيها إيمانه بالتقدم الانساني وثقته بان الانسان طامح وقادر على تحقيق هذا الرقي . وهو قد اكتسب هذين العنصرين من حياة القرن التاسع عشر كلها ومن تأثره العميق بالفلاسفة الالمان كهيجل ، والافرنسيين كجان جاك روسو . والعنصر الثالث إيمانه بوطنه روسيا .

أضف الى هذه العناصر ذكاء حاداً ، ومزاجاً عنيفاً ، وثقة بالنفس لا حد لها ، وازدراء للمصاعب والعقبات ، وقدرة على العمل ، واستعداداً قوياً جداً للمرح ، وإعراضاً عن الخوف من آراء الناس .

ويعرض مؤلف هذا الكتاب لشخصية تولستوي مجتمعة كاملة ، يعرض لها بالتحليل الدقيق ويظهرنا على هذا الرجل العظيم وهو يضطرب في حياته الخاصة ، وفي الحياة الروسية عامة ، ويتركنا نرى إقدامه وإحجامه ، ونسمع حواره وكلماته ، ونقرأ مذكراته ، فنتبين هذه الشخصية شيئاً فشيئاً ونردها الى اصولها وعناصرها .

فنحن نرى تولستوي مختلفاً الى الاندية ، متردداً على الصالونات ، متغزلاً بالحسناوات من بنات الاسر ومن طريدات المجتمع ... ثم لا نلبث ان نراه زاهداً في هذه الامور ، آخذاً نفسه باللوم ، مندفعاً في تأنيبها وأخذها بالشدة .. ونحن نراه ، مدافعاً عن الفلاحين ، محاولاً إنصافهم ، عاملاً على توزيع أراضيه عليهم ، وفتح المدارس لتعليم ابنائهم ، فارغاً في اثناء هذا كله للذاته ، لا يصرفه الجد عن الدعابة ولا الدعابة عن الجد .

وأنت لا تقرأ في هذا الكتاب حياة تولستوي وحده ، انما تقرأ فيه الحياة الروسية من نواحيها المختلفة في السياسة والادب ، ولعلك لا تعجب فيها بشخص تولستوي وحده ، وإنما تعجب فيها بشخصيات كثيرة اخرى ، قد شاركت في الحياة الروسية الخصبة خلال القرن التاسع عشر .

فالاستاذ فؤاد ايوب حين يهدي مواطنيه هذا الكتاب ، انما يهدي متعة فنية ، وكنزاً من كنوز المعرفة ، وسفراً من هذه الاسفار التي تمتلىء بالعبر والعظات .

وترجمته سهلة سمحة ، لا يجد القاريء فيها مشقة ولا عسراً ولا تكلفاً . وان كنت آسفاً اشد الاسف لانه لم يسلم مما يتورط فيه المترجمون عادة من هذا الخطأ اللغوي الذي يمكن اتقاؤه بشيء قليل من العناية ، فهو يتجافى احيانا عن بعض الاصول التي لا ينبغي ان يتجافى عنها الكتاب ، وفي الكتاب اغلاط نحوية لا ادري أأحملها عليه هو ام أحملها على الخطأ المطبعي ، ولكنها على كل حال لا يصح ان تشوه جمال كتاب كهذا الكتاب .

دمشق — **خالد العثماني**

الإحكام القضائية

مجلة قانونية تصدر عن دار المعرفة — بغداد

كان من سنن الحكومة العثمانية المحمودة في العراق ، بعد الاصلاحات الدستورية التي تلت ثورة ١٩٠٨ وبعد النهضة القانونية والتشريعية ، انها كانت تصدر نشرة دورية تضم احكام المحاكم وقراراتها بفترات زمنية متفاوتة ، وكانت النشرة تحمل اسم « المجلة العدلية » او ما يشبه هذا الاسم ، وبقيت النشرة تصدر بعد الاحتلال الانكليزي للعراق تحت إشراف وزارة العدل العراقية . ولكن توسع التشريع العراقي الجديد ، وسعة مسايرة الاجتهادات الفقهية في العالم المتمدن ، كل هذه الدوافع كانت تتطلب ضم احكام المحاكم وقراراتها المختلفة في نشرة خاصة على ان لا يقف الامر عند هذا الحد بل يتعداه الى الاخذ بآراء الفقهاء الحديثة وتطبيقها على احكام المحاكم على طريقة الفقه المقارن حتى تتواكب نهضة البلد الاجتماعية مع احكام المحاكم وقراراتها .

وقد شعر بهذا النقص ثلاثة من اساتذة كلية الحقوق العراقية هم الدكاترة صلاح الدين الناهي ومصطفى كامل ياسين وعبد الله اسماعيل البستاني فأصدروا مجلة تحمل اسم « الاحكام القضائية » صدر منها حتى كتابة هذه السطور اربعة اعداد ، وكل عدد منها تنشر فيه قرارات محكمة التمييز والقرارات الجزائية والتجارية والاجرائية واحكام المحاكم الشرعية ومجالسها التمييزية واحكام محاكم الاستئناف والصلح والبداءة ، الخ . ويلي كل حكم أو قرار ما يستوجبه من تعليق او ملاحظة يشترك في كتابتها الاساتذة حسب اختصاصهم ، كما يعاونهم في ذلك انفار من قانونيي العراق المعروفين .

ان صدور هذه المجلة يبشر بظهور نهضة ثقافية وحقوقية تعم البلد وتضيف الى كنوز الفكر الاسلامي القانوني اضافات جديدة ملقحة ومتفاعلة مع القانون الغربي خصوصاً اللاتيني منه

بغداد — **محمود العيطه المحامي**